مجلّة الواحات للبحوث و الدراسات المجلد 8 العدد 2(2015) : 879 – 902

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

دلائل النبوةالقرآن الكريم – انشقاق القمر-

يحيى بن محمد غُشِّي

كلية الدعوة وأصول الدينالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الملخص-

الحمد لله الذي خلق الكون بقدرته، وأودع فيه سرُّ حكمته، يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:فإن موضوع النبوة أو النبوات من أعظم أبواب العقيدة؛ إذْ الإيمان بأنبياء الله تعالى- عليهم الصلاة والسلام- أحد أركان الإيمان الستة، فلا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والنبوّة- كما لا يخفى- هي الطريق لمعرفة محابّ الله تعالى ومساخطه، وأوامره ونواهيه، وما يقرّب إليه، وما يُبعد عن رحمته، فالإيمان بالنبوة هو الطريق الموصل إلى معرفة الله ومحبته، والمسلك المفضي إلى رضوان الله وجنته، والسبيل المؤدي إلى النجاة من عذاب الله والفوز بمغفرته.

فالنبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم ﷻلخلقه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وحاجة العباد إلى الإقرار بالنبوة، أشد من حاجتهم للهواء والطعام والشراب؛ قال شيخ الإسلام:"ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر والبّين لكل أحد؛ كالحوادث المشهودة، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله".

ودراسة دلائل النبوّة، واستظهارها مما يزيد المؤمن إيماناً، ولربما كانت سبباً لإسلام من يريد الله به خيراً، وهذا أمرٌ ملاحظ، فإن العبد المسلم إذا مرّت به في النصوص دلائل وآيات على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن إيمانه يزيد ويقوى ويثبت

وهذه الدلائل- ولا شك- أنها أكبر برهان على أن محمداً ﷺ رسولٌ من عند الله؛ لأن الله لا يؤيد الكذب, فدلائل النبوة أكبر برهان على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, مع ما أكرمه الله به من مكارم الأخلاق.

ولعل أهم ما ينبغي التنويه به في هذا الملخص ما يلي:

أولاً:أن المقصود بدلائل النبوة:"الأدلةوالعلاماتالمستلزمةلصدق الأنبياء ", وبعبارة أخرىيمكن أن نعرفها, فنقول:هي ما أكرم الله ﷻ به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلمما يدل علىصدق نبوته, ويدخل في دلائل النبوة ما كان عليه ﷺ من الأخلاق الحميدة, وما أوتيهﷺمن جوامع الكلم, وشمول التشريع لدقائق الأمور, وأسرار التشريع, وأن التسمية الصحيحة والأثرية والمناسبة لها أن نقول: دلائل النبوة,أوأعلامالنبوة,أوآيات الأنبياء.

ثانياً:أن دلائل النبوة أو معجزات الأنبياء بشتى أنواعها, هي من فعل الله تعالى, وليس للمخلوق قدرةٌ على إيجادها على الوجه الذي حصلت به, ويظهر هذا المعنى جلياً في معجزتي القرآن الكريم, وانشقاق القمر.

ثالثاً: أن الله ﷻ أجرى على أنبيائه- عليهم الصلاة والسلام- هذه الدلائل أو المعجزات؛ لأنها موضع الحجة والبرهان, فهي بمثابة الشهادة على الدعوى في مقام النبوة, ويكون الغرض منها- أيضاً- الإكرام.

ثالثاً: أن هناك فوارق بين دلائل النبوة وغيرها من الخوارق,فدلائل النبوة تفوق كرامات الأولياء- مثلاً- في الكم والكيف والجنس والنوع, فالمعجزات التي قامت بها النبوة, لا شك أنها أعظم في مدركات العقل من الكرامات التي تتعلق بالولاية, وهذا ما يستلزمه مقام النبوة والأنبياء.

رابعاً:أن أعظم دلالة أو معجزة على نبوة نبينا محمدﷺ, هي القرآن الكريم, وهو كلام الله ﷻ , المنزل على محمد ﷺ, المتعبد بتلاوته, الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله؛ بل ولا بسورة من مثله, فمعجزة الإسلام الأولى, قد جاءت مناسبة لدعوتها كل المناسبة, فهي المعجزة الأصيلة والفريدة في نوعها وفي ذاتها, بخلاف غيرها.

خامساً:أن من الدلائل النبوية الحسية التي أبهرت الكفار, وعاندوا وكابروا فيها, هي معجزة انشقاق القمر فلقتين يرونهما رأي العين, وذلك حينما طلب الكفار من النبيصلى الله عليه وسلم أن يريهم القمر فلقتين, حتى يؤمنوا به

وأنه نبي ورسول من عند الله، لكنهم قابلوا هذه الدلالة أو المعجزة بالإنكار والمعاندة – عياذاً بالله– .

سادساً:أن أهل العلم – في القديم والحديث– قد ألّفوا في دلائل النبوة، وما يتصل بها الكتب الكثيرة العديدة، وهذا إن دلّ إنما يدل على أهميتها.

Prophecy signs. Holy Koran - splitting of the moon-

Abstract-

Praise be to God who created the universe in his ability, and deposited the secret of his wisdom, creates what he wants, and does what he wants, then prayer and peace upon our Prophet Muhammad seal of the prophets and messengers.

After: the God did not create slaves in vain, and did not leave them in vain; but sent them prophets and messengers, and mode between him and them informing them orders and prohibitions, and consistence them the way of guidance and misguidance, though the subject of prophecy or prophecies of the great doors of faith; it faith in prophets of God-them Prayer and Salam a six pillars of faith, it is true faith slave even believe in God, His angels, His books, and His messengers, and the Last Day, and much good and evil, and of prophecy- as It is no secret- is the way to see favourable God and his exasperation, and orders and prohibitions, and close to him, What is for mercy, faith is the prophecy of conductive road to knowledge and love of God, and the route leading to the pleasure of Allah and his committee, and the way that leads to salvation from the punishment of God and win from the punishment of God and win forgiveness.

Says "**Shaykh al-Islam IbnTaymiyyah** in this:" faith prophecy out of deliverance and happiness, it did not achieve this door was troubled by the door of guidance and misguidance, belief and disbelief, and did not distinguish between right and wrong".

Prophecy mediation between the Creator and the creature in the Report has prescribed, and the Embassy between the king and his servants, and an invitation from the Merciful to his creation; to drive them out of the darkness into the light, and take them from this world to the narrow worldand the Hereafter capacity.

And the need of people to acknowledge prophecy, most of their need for air, food and drink; Says "**Shaykh al-Islam**" the signs of the prophecy of the genus Godhead signs, where the visible and manifest for each one; memorable incidents, the all creatures in need to acknowledge the Creator and acknowledge Messengers".

And on the above study are signs of prophecy, and show it -too- which increase the insured belief, perhaps the reason for the Islam of God wants to do good, and this is observed, the slave Muslim if passed in

the texts signs and signs on the prophecy of Prophet Muhammad, peace be upon him, The faith increases and strengthens the evidence,**CadiAyyad** says in a statement reason authored a book (el shafa recognize rights Prophet): "but accustomed to the people of his religion, who accept his call, who believe his prophecy, to be an affirmation in their love for him, and growth for their works, and that they may add faith to their faith".

and these evidences -without doubt- are the largest proof that Muhammad is the Messenger from God; because God is not support lying, evidences prophecy are greater proof of the sincerity of our Prophet Muhammad, peace be upon him, with what God has honored from morals .

Perhaps most important, it should be noted this extract are the following:

First: that the evidences of prophecy or miracles of the prophets of all kinds, are an act of God, and no creature has the ability to find them on that face, which got him, and it appears evident in this sense offers us an indication in the Koran, and the miracle of splitting of the moon.

Second: that God conducted on the prophets-Salam upon them and these signs or miracles; because they are subjects of argument and evidence, they serve as a witness to the proceedings in place of prophecy, and the purpose of them honor.

Third: that the evidences of prophecy outweigh the dignities of the Patriarchs in quantity and quality, gender, type, Miracles carried out by prophecy, no doubt about it in the perceptions of the greatest mind of the dignities that are related to the mandate, and this is what entails the shrine of prophecy and the prophets, as is obvious. **Fourth:** I would recommend my fellow readers need to follow up this subject, and complete what is related sections nodosum, so Btelmus this contractual issues in Amadanha, which is written in the books of the scholars who are considered, than we have pointed out some of them, and I ask Allah to benefit with what you wrote, it is We calculated and yes, the agent, blessings and peace upon our Prophet Muhammad, and Praise be to Allah, the Lord of the Worlds

المقدمة –

الحمد للّه الذي خلق الكون بقدرته، وأودع فيه سرَّ حكمته، يخلق ما يشاء، ويفعل مايريدإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[يس: ٨٢- 83]. ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أنزل عليه قول ربه:وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا[الإسراء: ١٠٥].

وبعد: فإن اللّه تعالى لم يخلق عباده عبثاً، ولم يتركهم سدىً؛ بل أرسل إليهم أنبياءه ورسله، واسطةً بينه وبينهم يُبلِّغونهم أوامره ونواهيه، ويُبينون لهم طريق الهدى والضلال، فاللّه تبارك وتعالى يقول:أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ[المؤمنون: ١١٥]، ويقول:أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى[القيامة: ٣٦].

وإن موضوع النبوة أو النبوات من أعظم أبواب العقيدة؛ إذْ الإيمان بأنبياء اللّه تعالى- عليهم الصلاة والسلام- أحد أركان الإيمان الستة، فلا يصح إيمان العبد حتى يؤمن باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والنبوّة- كما لا يخفى- هي الطريق لمعرفة محابّ اللّه تعالى ومساخطه، وأوامره ونواهيه، وما يقرّب إليه، وما يُبعد عن رحمته، فالإيمان بالنبوة هو الطريق الموصل إلى معرفة اللّه ومحبته، والمسلك المفضي إلى رضوان اللّه وجنته، والسبيل المؤدي إلى النجاة من عذاب اللّه والفوز بمغفرته.

يقول ابن تيمية في هذا:"والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يُحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يُميز بين الخطأ والصواب"[1].

فالنبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيمجَلَّ جَلَالُهُلخلقه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وحاجة العباد إلى الإقرار بالنبوة، أشد من حاجتهم للهواء والطعام والشراب؛ إذْ من فقد هؤلاء خسر الدنيا، أما من فقد الإقرار بالنبوة فخسارته أشد وأنكى، إذْ خسر الدنيا والآخرة.

(1) كتاب النبوات لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص447.

قال شيخ الإسلام:"ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية, فيها الظاهر والبّين لكل أحد؛ كالحوادث المشهودة, فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله"[1].

ولاشك أن معرفة الله, والإيمان به, وعبادته, ومعرفة رسله, وطاعته, يحتاجها كل مخلوق مكلّف

وعلى ما تقدم تكون دراسة دلائل النبوّة, واستظهارها- أيضاً- مما تزيد المؤمن إيماناً, ولربما كانت سبباً لإسلام من يريد الله به خيراً, وهذا أمرٌ ملاحظ, فإن العبد المسلم إذا مرّت به في النصوص دلائل وآيات على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, فإن إيمانه يزيد ويقوى ويثبت, وفي هذا يقول القاضي عياض في بيان سبب تأليفه لكتابه(الشفا بتعرف حقوق المصطفى):" بل ألفناه لأهل ملته، الملبين لدعوته، المصدقين لنبوته، ليكون تأكيداً في محبتهم له، ومنماةً لأعمالهم، و ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم"[2].

وأما الملحد المعاند فإنه لا يزداد إلا عمىً, ولو جاءته كل آية, كما قال تعالى عن منكري نبوة موسى عليه السلام: وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ[الأعراف:١٣٢], وكما قال تعالى عن قريش:وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا[الإسراء: ٩٠ – ٩٤], وقال تعالى:وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ[الأنعام: ٧].

وهذه الدلائل- ولا شك- أنها أكبر برهان على أن محمداً عليه السلام رسولٌ من عند الله؛ لأن الله لا يؤيد الكذب, فدلائل النبوة أكبر برهان على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, مع ما أكرمه الله به من مكارم الأخلاق, وأنبه هنا على أمرين مهمين:

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيحلأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (435/5).

(2)الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (246/1).

الأمر الأول: أن هذه الدلائل أو المعجزات التي أجراها الله على أيدي الأنبياء, ليس بحول الأنبياء عليهم السلام ولا بقدرتهم؛ ولكن الله أجراها على أيديهم تصديقاً لهم, لذا قال أهل العلم في هذا: أن معجزات الأنبياء هي فعل الله ﷻ.

الأمر الثاني: أنه يدخل في دلائل النبوة ما كان عليه ﷺ من الأخلاق الحميدة, وما أوتيه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم, وشمول التشريع لدقائق الأمور, وأسرار التشريع.

لأجل ذلك وغيره, اخترتُ الكتابة في هذا الموضوع, وعنونت له بالعنوان التالي:

(((دلائل النبوة

القرآن الكريم- انشقاق القمر)))

وقد انتظمت خطة هذا البحث في المطالب التالية:

المطلب الأول: دلائل النبوّة تعريفها, وتسميتها الشرعية, والفرق بينها وبين غيرها من الفوارق.

المطلب الثاني: القرآن الكريم أعظم دلالة أو معجزة على نبوة نبينا محمدﷺ.

المطلب الثالث: دلالة انشقاق القمر من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحسية.

المطلب الرابع: ذكر بعض ما أُلف عن دلائل النبوّة من مؤلفات.

منهج كتابة البحث:

لقد سرتُ في كتابة هذا البحث - بعد عون الله تعالى- على المنهج التالي:

1. جمعتُالمادة العلمية لهذا البحث, من مظانها منكتب العقيدة في هذا الفن, وقد أرجع أحياناً إلى كتب التفسير والحديث.
2. وثقت النصوص المنقولة من المصادر والمراجع, وفي حالة التصرف في النص باختصار أو نحوه أشير لذلك.
3. عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.
4. عزوت الأحاديث النبوية الواردة في البحث, مع ذكر كلام أهل العلم في

بيان درجته.

5. وضحت المسائل الواردة في البحث إيضاحاً يسهل على القارئ فهمها ومعرفتها بإذن الله تعالى.

6. التزمت بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

7. وضعت خاتمة للبحث، ذكرتُ فيها أهم ما يمكن أن ينوه بذكره من هذا البحث.

8. وضعت فهرس للمراجع والمصادر في آخر البحث.

والله أسأل أن يوفقني للعلم النافع والعمل الصالح، فهو خير مسؤول، وأن يجعل ما سطره قلمي حجةً لي، يوم الدين يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ[الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

المطلب الأول: دلائل النبوّة تعريفها، وتسميتها الشرعية، والفرق بينها وبين غيرها من الخوارق.

أولاً: دلائل النبوة في اللغة والاصطلاح:

أ/ الدليل في اللغة معروف: هو المرشد والكاشف، من دللت على الشيء ودللت إليه، قال الجرجاني في كتابه (التعريفات)[1]:" الدليل هو: المرشد، وما به الإرشاد".

والدلائل: جمع دلالة بالفتح والكسر، وهي العلامة والأمارة.يقال: دله على الطريق يدله دلالة[2].

ب/ أما المقصود بدلائل النبوة من جهة الاصطلاح: فيقول شيخ الإسلام عنها:"هي الأدلة

والعلامات المستلزمةلصدقهم- أي صدق الأنبياء- "[3].

وبعبارة أخرى يمكن أن نعرفها، فنقول:هي ما أكرم الله ﷻبه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلمما يدل على

صدق نبوته.

---

(1) كما في ص140 منه.

(2)انظر: لسان العرب مادة (دلل) لابن منظور (249/11)، ومختار الصحاح مادة (دلل) للرازي (88/1).

(3) النبوات لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص30.

ثانياً: التسمية الشرعية لدلائل أو علامات النبوة:

إن تسمية دلائل النبوة بالمعجزات إنما صدر من أهل الكلام لتناسب ما هم عليه, والتسمية الصحيحة والأثرية والمناسبةأن نقول: دلائل النبوة,أوأعلام النبوة,أو آيات الأنبياء, وبخصوص التسمية يقول شيخ الإسلام:"والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة, وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء, ويسميها من يسميها من النظار: معجزات,وتسمى دلائل النبوة, وأعلام النبوة, وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء, كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات, ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة, وإنما فيه لفظ "الآية" و "البينة" و"البرهان", كما قال تعالى في قصة موسى:فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ[القصص: ٣٢], في العصا واليد, وقال الله تعالى في حق محمدﷺ:يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا[النساء: ١٧٤]"[1].

وقال- أيضاً- :"ولهذا لم يسمها الله في كتابه إلا آيات وبراهين, فإن ذلك اسم يدل على مقصودها ويختص بها, لا يقع على غيرها, لم يسمها معجزة ولا خرق عادة, وإن كان ذلك من بعض صفاتها, فهي لا تكون آية وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة, وعجز الناس عن الإتيان بمثلها"[2].

ومن جهة أخرى أقول: إن مصطلح المعجزة كما عرفه المتكلمون, هو أمرخارق للعادة يظهر على يدي مدعي النبوة على وجه التحدي. وهذا معناه أن التحدي والعجز عن المعارضة شرطان في تسمية المعجزة، وليس كذلك في الدلائل.

وهذا الذي أفاده الإمام السهيلي في سياق حديثه عن بعض دلائل النبوة قائلاً: "وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها - يقصد تسليم الحجر وحنين الجذع- فيها علم على نبوته ﷺ،غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين, إلا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته"[3].

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (4/67- 70).

(2) النبوات لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص220.

(3) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن السهيلي(1/ 399).

وكما نبه على هذا الفرق الدقيق الحافظ ابن حجر في مستهل شرحه لباب علامات النبوة في الإسلام من صحيح البخاري قال: "العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة.والفرق بينهما أن المعجزة أخص؛ لأنه يُشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه, بأن يقول إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق, أو يقول من يتحداه لا أصدقك حتى تفعل كذا, ويشترط أن يكون المتحدي به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة, وقد وقع النوعان للنبي صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها"[1]. وبهذا يتبين أن بين الدليل والمعجزة عموماً وخصوصاً، فالدليل أعم والمعجزة أخص.

ثالثاً: الفوارق بين دلائل النبوة وغيرها من الخوارق:

إن النبوة هي أصل المعجزة, والولاية هي أصل الكرامة, فلا تحصل المعجزة الخارقة للعادة- التي هي أصل الكرامة في الجنس- إلا مع النبوّة الصادقة, كما أن الكرامة الخارقة للعادة لا تحصل للولي إلا بالتبع لشرع نبيه.

فالمعجزة إذاً دليل على النبوّة الصادقة, والكرامة دليل على صدق الشاهد بالنبوة الصادقة, و جماعها آية الله الخارقة الدالة على النبوة الصادقة, فهما من جنس واحد؛ لكنه لا يلزم من هذا أن تكون المعجزة والكرامة متساويتين في الحد والحقيقة, فآيات الله لا يُحاط بها علماً.

وإن ما يجريه الله تعالى على أيدي أنبيائه الصادقين, غير ما يجري على الدجالين الكذّابين, وصاحب الفطرة السليمة يميز بينهما, وفي هذا يقول شيخ الإسلام:" والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لابد أن يتصف الرسول بها, وهي أشرف العلوم, وأشرف الأعمال, فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب"[2], ومعرفة دلائل النبوة أو المعجزات, والتمييز بينها وبين ما للسحرة والكهان من الخوارق عظيم, وتعلم ذلك من أشرف العلوم, يقول شيخ الإسلام: "فإن الكلام في

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (6 /581- 582).
(2) شرح الأصفهانية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (477/2).

المعجزات وخصائصها, والفرق بينها وبين غيرها من أشرف العلوم, وأكثر أهل الكلام خلطوا فيه تخليطاً"[1].

ولتوضيح الفوارق بين دلائل النبوة وبين ما يحصل من الخوارق للسحرة والدجالين, أكتفي بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "النبوات"[2]؛ حيث قال رحمه الله:"والخوارق ثلاثة أنواع:

الأول:إما أن تعين صاحبها على البر والتقوى, فهذه أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم, ومن أتبعه, خوارقهم لحجة في الدين أو حاجة للمسلمين.

والثاني: أن تعينهمعلى مباحات, كمن تعينه الجن على قضاء حوائجه المباحة, وهذا يشبه تسخير الجن لسليمان, والأول مثل إرسال نبينا إلى الجن يدعوهم إلى الإيمان, فهذا أكمل من استخدام الجن في بعض الامور المباحة, كاستخدام سليمان لهم في محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات, قال تعالى:يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ[سبأ: ١٣], وقال تعالى:وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ[سبأ: ١٢], ونبينا صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم يدعوهم إلى الإيمان بالله وعبادته, كما أرسل إلى الإنس فإذا اتبعوه صاروا سعداء, فهذا أكمل له ولهم من ذاك.

والثالث: أن تعينه على محرمات, مثل الفواحش والظلم والشرك والقول الباطل, فهذا من جنس خوارق السحرة والكهان والكفار والفجار, مثل أهل البدع وغيرهم, فإنهم يستعينون بها على الشرك وقتل النفوس بغير حق والفواحش, ولهذا كانت طريقهم من جنس طريق الكهان والشعراء والمجانين, وقد نزه الله نبيه عن أن يكون مجنوناً وشاعرًا وكاهنًا, فإن إخبارهم بالمغيبات عن شياطين تنزل عليهم كالكهان". انتهى كلامه رحمه الله بتصرفٍ يسير.

وفي نفس هذا السياق يقول شيخ الإسلام:"والفرق بين النبي والساحر, أعظم من الفرق بين الليل والنهار, والنبي يأتيه ملك كريم من عند الله ينبئه عن

([1]) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص164.

([2])كما في(1/11- 12).

الله, والساحر والكاهن إنما معه شيطان يأمره ويخبره, قال تعالى:هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ[الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣]"(1).

ويقول رحمه الله- أيضاً- :"فهذا الموضوع من فهمه فهماً جيدًا تبين له الفرقان في هذا النوع, فإن كثيرًا من الناس يصفها بأنها خوارق ومعجزات وعجائب, ونحو ذلك, ولا يحقق الفرق بين من يجب أن يخرق عادته ومعجزه, ومن لا يجب أن يكون في حقه كذلك"(2).

المطلب الثاني: القرآن الكريم أعظم دلالة أو معجزة على نبوة نبينا محمدﷺ.

إن أعظم دلالة أو معجزة على نبوة نبينا محمدﷺ, هي القرآن الكريم, ومن المعلوم أن الله تعالى قد أجرى على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً من دلائل النبوة, قد تضاهي في مجموعها تلك التي أجراها الله على أيدي الأنبياء السابقين, وقد جاءت السنة المطهرة زاخرة بتلك الدلائل, مع ما تضمنه القرآن الكريم, والله تعالى أرسل نبينا محمدصلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة, وختم به الرسالات السابقة, قال الله تعالى:وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[سبأ: ٢٨], وقال تعالى:مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا[الأحزاب: ٤٠], فهذا هو نبي الإسلام, وهذه دعوة الإسلام الشاملة للزمان والمكان والأجيال, ولما كان هذا هو الحال في الدعوى, كان لابد أن تكون دلائلُها مناسبة لها في العموم والبقاء, فمعجزة الإسلام الأولى, قد جاءت مناسبة لدعوتها كل المناسبة, فهي المعجزة الأصيلة والفريدة في نوعها وفي ذاتها, بخلاف غيرها, إنها معجزة القرآن الكريم, فما أعظم القرآن وما أجل قدره.

والقرآن الكريم معروف, وقد عرّفه العلماء بقولهم:بأنه الكلام المعجز, المنزل على النبيﷺ المكتوب في المصاحف, المنقول بالتواتر, المتعبد بتلاوته"(3).

(1) النبوات لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص704.

(2) النبوات لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص851.

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (19/1).

ويقول الزرقاني عقب إيراده لهذا التعريف:"وأنت ترى أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة. وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم. وإن كان قد امتاز بكثيرٍ سواها"[1].

أ/ الأدلة من القرآن، على أن القرآن الكريم من أعظم دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ:

يمكن اثبات أن القرآن الكريم أعظم دلالة أو معجزة خارقة بالكتاب العزيز، وهي- أي أدلةُ القرآن الكريم- على قسمين:

القسم الأول: الدليل بالأسلوب: نقول في هذا الدليل: إن المتتبع لأسلوب القرآن الكريم، يجد في طواياه تلك الآيات التي فيها مطالبة النبي صلى الله عليه وسلمبالمعجزات، وتقترحها عليه، بينما نجد الرد عليهم بأن القرآن الكريم فيه الغنية من تلك المعجزات أو الدلائل، إذْ هي المعجزة الكافية، ولستُ هنا بصدد تتبع تلك الأساليب، وإنما أكتفي ببيان أنموذج لها، لعل القارئ الكريم بعد ذلك يجمع الأشباه والنظائر ويبني عليها، فمن ذلك:

قوله تعالى:وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[العنكبوت: ٥٠ – ٥١].

يقول الزمخشري في كلام جميل له عند قوله تعالى:أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ، أي:"آيةٌ مُغنية عن سائر الآيات، إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين، هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحلّ. كما تزول كل آية بعد كونها، وتكون في مكان دون مكان"[2].

وعن الأسلوب في قوله تعالى:أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ، يقول أبو السعود:"والهمزة للإنكار والنفي،أي أَقَصُر، ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات، أنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية، يتلى عليهم في كل

---

(1) المصدر السابق.

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(3/463).

زمان ومكان، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل، كما تزول كل آية بعد كونها، وتكون في مكان دون مكان"[1].

فقد بان- ولاشك- بهذه الآية أن القرآن الكريم منهل الآيات، وأوفى الدلائل والمعجزات، وأنه أعظمها وأبقاها.

القسم الثاني: هو الدليل بآيات التحدي:وهي كثيرة جداً، منها: قوله تعالى:قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[القصص: ٤٩]، وقال ﷻ:قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء: ٨٨]، وفي هاتين الآيتين كان التحديبأن يأتوا بكتاب من عند الله مثله، وقال سبحانه:أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[الطور: ٣٣ – ٣٤]، ثم هنا تدرج معهم وكان التحديبأن يأتوا بحديثٍ مثله، وقال تعالى:أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[هود: ١٣]، وهنا في هذه الآية تدرج معهم أيضاً في التحدي، على أن يأتوا بعشر سور مثله فقط، وقال تعالى:أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[يونس: ٣٨]، وقال سبحانه:وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[البقرة: 23]، وهنا في هاتين الآيتين تدرج معهم في التحدي، بأن يأتوا بسورة واحدة فقط من مثل سوره.

وهكذا نرى أن آيات التحدي، قد جاءت على سورٍ مختلفة، وأشكالٍ متباينة مجاراةً مع الخصم، كما بيّناه آنفاً، ثم نعتهم بعد الاستطاعة في قوله تعالى:وَلَنْ تَفْعَلُوا، ولا شك أن أي معجزة، لابد أن تحمل في طواياها معنى التحدي، وقد جاء التحدي في هذه المعجزة صريحاً بيّناً، يدل دلالة بيّنة وواضحة جليةً لكل أحد أن القرآن الكريم معجزة قاهرة ظاهرة.

يقول الرازي في هذا السياق:"واعلم أن كونه- أي القرآن الكريم- معجزاً، يمكن بيانه من طريقين:

الأول:أن يقال إن هذا القرآن لا يخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة:

---

[1] انظر: تفسير أبي السعود لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود(43/7).

إما أن يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء.

أو زائداً على سائر كلام الفصحاء بقدر لا ينقض العادة.

أو زائداً عليه بقدر ينقض.

والقسمان الأولان باطلان, فتعين الثالث- أي: أنه زائداً على سائر كلام الفصحاء بقدر ينقض العادة- ، وإنما قلنا إنهما باطلان؛ لأنه لو كان كذلك, لكان من الواجب أن يأتوا بمثل سورة منه, إما مجتمعين أو منفردين، فإن وقع التنازع, وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام يزيلون الشبهة، وذلك نهاية في الاحتجاج؛ لأنهم كانوا في معرفة اللغة والاطلاع على قوانين الفصاحة في الغاية- لأن العرب آنذاك كانت الفصاحة عندهم هذه البضاعة الرابحة إن صحت العبارة- وكانوا في محبة أبطال أمره في الغاية, حتى بذلوا النفوس والأموال وارتكبوا ضروب المهالك والمحن، وكانوا في الحمية والأنفة على حد لا يقبلون الحق, فكيف الباطل، وكل ذلك يوجب الاتيان بما يقدح في قوله, والمعارضة أقوى القوادح، فلمّا لم يأتوا بها, علمنا عجزهم عنها, فثبت أن القرآن لا يماثل قولهم، وأن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتاً معتاداً- بعض أهل العلم يقول في هذا: إن التفاوت بين كلام الله وكلام المخلوق, كتفاوت والتباين بين الخالق والمخلوق- فهو إذنْ تفاوت ناقض للعادة, فوجب أن يكون معجزاً.

الطريق الثاني:أن نقول: القرآن لا يخلوا إما أن يقال: إنه كان بالغاً في الفصاحة إلى حد الإعجاز، أو لم يكن كذلك, فإن كان الأول ثبت أنه معجز. وإن كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة, فعدم إتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة, ومع توفر دواعيهم على الإتيان بها, أمر خارق للعادة, فكان ذلك معجزاً, فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه.ثم قال- لتوضيح صور التحدي بالقرآن الكريم السابقة الذكر- : المسألة الخامسة: اعلم أن التحدي بالقرآن جاء على وجوه:

أحدها:قوله تعالى:قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[القصص: ٤٩].

وثانيها: قوله:قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء: ٨٨].

وثالثها:قوله:أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[هود: ١٣].

ورابعها:قوله: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[يونس: ٣٨].

ونظير هذا- ولله المثل الأعلى- كمن يتحدى صاحبه بتصنيفه, فيقول له:ائتني بمثله، أو ائتني بنصفه، أو ائتني بربعه، أو ائتني بمسألة منه، فإن هذا هو النهاية في التحدي, وإزالة العذر.فلهذا السبب قلنا إن بلغت هذه السورة في الفصاحة إلى حد الإعجاز, فقد حصل المقصود، وإن لم يكن الأمر كذلك, كان امتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزاً. فعلى هذين التقديرين يحصل المعجز"[1] .

وبما تقدم يتبين أن القرآن الكريم يقرر من ثنايا الأسلوب والتحدي أنه معجزة خارقة للعادة, وظهر بذلك- أيضاً- أن القرآن الكريم معجزٌ بنفسه لمزايا وخصائص استقرت فيه, تَقْصُرُ طاقة البشر وقدرتهم عن مضاهاتها, لذلك ورد التحدي بالقرآن الكريم ذاته, ويتضح - أيضاً- أن إعجاز القرآن قائمٌ بذاته, فالأدلة إذاً من القرآن ظاهرة الدلالة على ثبوت أنه من أعظم الدلائل على نبوة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

ب/ الأدلة من السنة النبوية, على أن القرآن الكريم من أعظم دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ:

أن هناك أدلة كثيرة من كلام نبينا محمد ﷺ, تقرر وتبين أن القرآن الكريم هو أعظم دلالة أو معجزة لنبوة محمد ﷺ, وأكتفي بذكر دليل واحد, لقوة التصريح بما نحن فيه الآن:

وهو ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما[2], من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:"ما من الأنبياء نبيٌ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر, وإنما

---

(1) انظر: تفسير الفخر الرازي(1/269- 271) بتصرفٍ يسير.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ فضائل القرآن, بابكيف نزل الوحي وأول ما نزل(6/182) ح4981, ومسلم في صحيحه: ك/ الإيمان,باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته(1/134) ح152.

كان الذي أوتيت, وحياً أوحاه الله إليّ, فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة".

يقول ابن حجر رحمه الله:"قوله ﷺ:(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي), هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة, تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه, ولا يضره من أصرّعلى المعاندة" [1].

وقال – أيضاً– :"وقوله ﷺ:(وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ) أي أن معجزتي التي تحديت بها, الوحي الذي أُنزل علي وهو القرآن؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح, وليس المراد حصر معجزاته فيه, ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه؛ بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به, لم يعطها بعينها غيره, تحدى بها قومه, وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه, كما كان السحر فاشياً عند فرعون, فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة, لكنها تلقفت ما صنعوا, ولم يقع ذلك بعينه لغيره, وكذلك أحياء عيسى الموتى, وإبراء الأكمه, والأبرص؛ لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور, فأتاهم من جنس عملهم, بما لم تصل قدرتهم إليه, ولهذا لما كان العرب الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في الغاية من البلاغة, جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله, فلم يقدروا على ذلك, ومعنى الحصر في قوله ﷺ:(إنما كان الذي أوتيته):أن القرآن أعظم المعجزات,وأفيدها وأدومها ؛ لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر, فلما كان لا شيء يقاربه, فضلاً عن أن يساويه,كان ما عداه بالنسبة إلي, كأن لم يقع" [2].

ج/ دليل آخر غير ما جاء في الكتاب والسنة, على أن القرآن الكريم من أعظم دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

إن هناك دليلاً آخر, يثبت أن القرآن الكريم من أعظم دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, غير ما تقدم ذكره من أدلة الكتاب والسنة, ألا وهو دليل المشاهدة الحسية, ونقصد بالمشاهدة الحسية, تلك المشاهدة الفعلية, وهي أننا

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر(6/9- 7).

(2)انظر:فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (6/9- 7).

نرى جميعاً هذا القرآن الكريم، المكتوب في المصاحف، والمتداول في شتى الأقطار، الفريد في نظمه وأسلوبه، ومخاطبته للبشر، مع ما يُمَجَّد به من قداسةٍ واحترام، وهذه الأوصاف لم يُعهد لها مثيلاً لكتابٍ سواه، أقول وهذا بشهادة الكل.

وبهذا يتبين جملة من الأدلة، التي تقرر وتثبت أن القرآن الكريم معجزة وخارقة لنبينا محمد ﷺ؛ بل أقول أنها أعظم المعجزات والدلائل ثبوتاً وإعجازاً لنبوة خاتم الأنبياء نبينا وحبيبنا محمد ﷺ.

المطلب الثالث: دلالة انشقاق القمر من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحسية:

إن دلائل نبوّة نبينا محمدصلى الله عليه وسلم كثيرةٌ جداً، قد أُلفت فيها مؤلفات، ومن الدلائل النبوية الحسية التي أبهرت الكفار، وعاندوا وكابروا فيها، هي معجزة انشقاق القمر فلقتين يرونهما رأي العين، وذلك حينما طلب الكفار من النبيصلى الله عليه وسلم أن يريهم القمر فلقتين، حتى يؤمنوا به وأنه نبي ورسول من عند الله، لكنهم قابلوا هذه الدلالة أو المعجزة بالإنكار والمعاندة – عياذاً بالله– .

أ/الدليل من القرآن الكريم على ثبوت هذه الدلالة أو المعجزة على نبوّة نبينا محمد ﷺ.

إن هذه الدلالة أو المعجزة دلّ عليها كتاب ربنا ﷻ؛ بل وسميت سورة من سور القرآن بها، وهي سورة القمر، وذلك في قوله سبحانه وتعالى في صدرها:اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ [القمر: ١ – ٣].

وقد أطبق أهل التفسير أن هذه الآيات هي: في سياق بيان هذه المعجزة العظيمة، لنبوة نبينا محمد ﷺ، فإذا نظرنا إلى نصّ القرآن في هذه الآيات، وجدنا التناسق اللفظي والمعنوي يشهد بوقوع هذه المعجزة، فقوله ﷻ:اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﭼ: صريحٌ في أن الساعة لم تقع بعد، وهكذا الحال، وقوله:وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﭼ: صريحٌ في وقوع الانشقاق؛ لأن الفعل ورد بصيغة الماضي، ولم توجد قرينة نقلية تصرف اللفظ عن ظاهره، ولم تقم قرينة عقلية تحيل وقوع الانشقاق، ثم يأتي السياق في تمام الاتساق، وذلك في قوله تعالى:وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا

وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ, فهذا السياق يشير إلى وقوع هذ المعجزة, أو الدلالة, وهي انشقاق القمر.

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري:"وكان ذلك - أي انشقاق القمر- فيما ذُكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته؛ فلما أراهم أعرضوا وكذّبوا، و

قالوا: هذا سحر مستمرّ، وقالوا سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه:وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ"[1].

ويقول الرازي:" والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق, وحصل فيه الانشقاق"[2].

وهكذا نجد أقوال المفسرين متوافقة, على أن القمر قد انشق في زمن النبي ﷺ, تصديقاً لنبوة هذا النبي الكريم ﷺ.

ب/ الأدلة من السنة النبوية, على ثبوت هذه الدلالة أو المعجزة, على نبوّة نبينا محمد ﷺ:

لقد جاءت السنة بالأحاديث الصحيحة في شأن هذه المعجزة, من طرق شتى وبأساليب مختلفة, وكلها متكاملة ومتظافرة على نتيجة واحدة وهي وقوع هذا الأمر العظيم الجلل, وهو انشقاق القمر.فقد روى البخاري في صحيحه بسنده, في باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر[3],عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:"انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين, فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه :"أنه حدثهم, أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية, فأراهم انشقاق القمر"[4].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير (565/22).

(2) انظر: مفاتيح الغيبالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي (28/19).

(3) كما في (206/4) ح3636.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ المناقب, باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر (206/4) ح3637.

وعن ابن عباس رضي الله عنهم- أيضاً- :"أن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

وفي البخاري - أيضاً- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما"[2].

فهذه الأحاديث والروايات، وقد ورد غيرها في دواوين السنة النبوية، تؤكد بمجموعها على وقوع هذه الأمر العظيم والجلل، وهو انشقاق القمر، تصديقاً لنبوة محمد ﷺ، وأنه رسول من عند الله.

قال القاضي عياض:" انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم، مع ظاهر الآية الكريمة، وسياقها، وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهينالمخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره"[3].

ج/ توضيح صورة هذه الدلالة أو المعجزة، ووجه الإعجاز فيها:

إنه من البديهي وبالنظر للمعنى المتبادر إلى الذهن، أنمحل ظهور هذا الإعجاز في هذه الدلالة، هو ذلك الكوكب المعروف بالقمر، وهو أقرب الكواكب إلى الأرض، هذا هو حاله قبل ظهور الإعجاز، أما بعد ظهور الإعجاز فيه، فقد جاءت النصوص- كما تقدم معنا- تبين الأوصاف والهيئات التي كان عليها، وأول خصيصة من هذا الإعجاز، هو الانشقاق، الذي هو انفصال بعضه عن بعض، حتى صار فلقتين، وهذا - لاشك- أنه أمرٌ عظيم، لا يقدر عليه إلا رب العالمين، وقد ورد لفظ الانشقاق بصيغة الماضي وذلك في النص القرآني، وكذا في أكثر الروايات، وفي بعض الروايات: "فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء- وهو الجبل المعروف بمكة- بينهما"، وفي رواية أخرى: "فانشق القمر فلقتين: فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه"، فهذه أوصاف لهيئة ظهور هذه الدلالة أو المعجزة الكبيرة على نبوة النبي الكريم محمد ﷺ، ولا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر (206/4) ح3638.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: ك/ المناقب، باب انشقاق القمر (49/5) ح3868.

(3) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاجلشرف الدين النووي (143/17).

شك أن هذا أمرٌ وخرق عظيم لهذا الجرم العظيم, والكوكب الهائل, ولم يُعهد في النظام الكوني أنه وقع هذا الإعجاز من قبل لأحدٍ من النبيين, غير نبينا محمد ﷺ, فيالها من معجزة ودلالة, وياله من نبي عظيم عليه أفضل وأكمل التسليم.

وهي تؤكد- أيضاً- بهذا, وقوع هذه المعجزة, وأنها بعيدة كل البعد عن الشك والتخييل ومغالطة الحس, كما قد يتوهمه بعض الملاحدة, والطاعنين على هذا الدين العظيم.

المطلب الرابع:ذكر بعض ما أُلف عن معجزة انشقاق القمر من مؤلفات:

إن أهل العلم - في القديم والحديث- قد ألّفوا في دلائل النبوة, وما يتصل بها الكتب الكثيرة العديدة, وهذا إن دلّ إنما يدل على أهميتها, فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

1- "دلائل النبوة" لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي, المتوفى سنة 301ه.

2- "دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني, المتوفى سنة 430هـ, وهو من أشهر المصنفات في هذا الفن.

3- "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة" لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي, المتوفى سنة 450ه, وهو من أجمع وأشهر ما ألف في دلائل النبوة، وقد أشاد به أكثر من واحد, وقد طبع في رسالة علمية.

4- "أعلام النبوة" لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي, المتوفى سنة 450ه.

5- "دلائل النبوة" لإسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني, الملقب بقوام السنة المتوفى سنة 535هـ.

6- "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض المالكي, المتوفى سنة 544ه.

7- "النبوات" لشيخ الإسلام ابن تيمية, المتوفى سنة 728ه.

8- "علامات النبوة" عبد الملك علي الكليب.

9- "دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم" لعبد الحليم محمود, المتوفى سنة 1397ه.

ويجب التنبيه هاهنا إلى أن الكتب المفردة لدلائل النبوة, قد اشتملت على الصحيح والضعيف والموضوع، فكان لزاماً على من أراد الاستفادة منها, أن يكون

على ذكر من ذلك، وأن لا يكون كحاطب ليل يورد ما اتفق، بل يعتمد ما صح وما قاربه، ويطرح ما سوى ذلك.

الخاتمة -

ولعل في خاتمة هذا الموضوع، أذكر أهم ما ينبغي التنويه به، وذلك في النقاط التالية:

أولاً:أن المقصود بدلائل النبوة:"الأدلةوالعلاماتالمستلزمةلصدق الأنبياء "، وبعبارة أخرى يمكن أن نعرفها، فنقول:هي ما أكرم الله ﷻبه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلمما يدل علىصدق نبوته، ويدخل في دلائل النبوة ما كان عليه ﷺ من الأخلاق الحميدة، وما أوتيهﷺمن جوامع الكلم، وشمول التشريع لدقائق الأمور، وأسرار التشريع، وأن التسمية الصحيحة والأثرية والمناسبة لها أن نقول: دلائل النبوة،أوأعلامالنبوة،أوآيات الأنبياء.

ثانياً:أن دلائل النبوة أو معجزات الأنبياء بشتى أنواعها، هي من فعل الله تعالى، وليس للمخلوق قدرةٌ على إيجادها على الوجه الذي حصلت به، ويظهر هذا المعنى جلياً في معجزتي القرآن الكريم، وانشقاق القمر.

ثالثاً: أن الله ﷻ أجرى على أنبيائه- عليهم الصلاة والسلام- هذه الدلائل أو المعجزات؛ لأنها موضع الحجة والبرهان، فهي بمثابة الشهادة على الدعوى في مقام النبوة، ويكون الغرض منها- أيضاً- الإكرام.

ثالثاً: أن هناك فوارق بين دلائل النبوة وغيرها من الخوارق،فدلائل النبوة تفوق كرامات الأولياء- مثلاً- في الكم والكيف والجنس والنوع، فالمعجزات التي قامت بها النبوة، لا شك أنها أعظم في مدركات العقل من الكرامات التي تتعلق بالولاية، وهذا ما يستلزمه مقام النبوة والأنبياء.

رابعاً:أن أعظم دلالة أو معجزة على نبوة نبينا محمدﷺ، هي القرآن الكريم، وهو كلام الله ﷻ ، المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله؛ بل ولا بسورة من مثله، فمعجزة الإسلام الأولى، قد جاءت مناسبة لدعوتها كل المناسبة، فهي المعجزة الأصيلة والفريدة في نوعها وفي ذاتها، بخلاف غيرها.

خامساً:أن من الدلائل النبوية الحسية التي أبهرت الكفار، وعاندوا وكابروا فيها، هي معجزة انشقاق القمر فلقتين يرونهما رأي العين، وذلك حينما طلب

الكفار من النبيصلى الله عليه وسلم أن يريهم القمر فلقتين، حتى يؤمنوا به وأنه نبي ورسول من عند الله، لكنهم قابلوا هذه الدلالة أو المعجزة بالإنكار والمعاندة - عياذاً بالله- .

سادساً: أن أهل العلم - في القديم والحديث- قد ألّفوا في دلائل النبوة، وما يتصل بها الكتب الكثيرة العديدة، وهذا إن دلّ إنما يدل على أهميتها.

سابعاً: أوصي إخواني القراءبضرورة متابعة هذا الموضوع، واستكمال ما يتصل به من مباحث عقدية، وذلك بتلمس هذه المسائل العقدية في مظانها، مما هو مدوّن في كتب أهل العلم، مما كنا قد أشرنا إلى بعضها، والله أسأل أن ينفع بما كتبت، فهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
2- كتاب النبوات لأحمد بن عبد الحليم. المطبعة السلفية - القاهرة ، 1386ه.
3- التعريفات لعلي الجرجاني.دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ، 1405ه.
4- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور.دار صادر – بيروت.الطبعة الأولى.
5- مختار الصحاح لمحمد الرازي. مكتبة لبنان ناشرون – بيروت. طبعة 1415ه.
6- شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي. تحقيق أحمد محمد شاكر. الطبعة : الأولى1418هـ.الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية.
7- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأحمد بن عبد الحليم. تحقيق : د.علي حسن ناصر، ود.عبد العزيز إبراهيم العسكر،ود. حمدان محمد. الطبعة الأولى ، 1414ه. الناشر : دار العاصمة – الرياض.
8- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن السهيلي. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي. الطبعة الأولى 1421ه. دار إحياء التراث العربي- بيروت.
9- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني. دار المعرفة - بيروت ، 1379ه.
10- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابرلعبد الوهاب الشعراني. دار صادر للطباعة والنشر. طبعة 2003م.
11- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.الطبعة الثالثة.

12- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. تحقيق : عبد الرزاق المهدي. دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
13- تفسير أبي السعود لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود. الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
14- مفاتيح الغيب تفسير الفخر الرازي لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي. دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة : الأولى- 1421هـ - 2000 م.
15- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير. المحقق : سامي بن محمد سلامة.الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع.الطبعة : الثانية 1420هـ .
16- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة.الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م.
17- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي أبو الفضل. الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
18- سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي. تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي. الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الأولى ، 1407ه.
19- شرح العقيدة الأصفهانية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, أبو العباس. تحقيق: مراد بن رياض الأحمد. المكتبة العصرية- بيروت. الطبعة الأولى 1425ه.
20- قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمانلأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, أبو العباس. تحقيق: سليمان الغصن.
21- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله. المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر : دار طوق النجاة.الطبعة : الأولى 1422هـ.
22- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج, تحقيق: نظر بن محمد الفريابي, الناشر: دار طيبة, سنة النشر: 1427ه.
23- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبو الفضل عياض اليحصبي,دار الفكر, طبعة 1425ه.
24- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي. الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت. الطبعة الثانية: 1392ه.